الحكمة فی شعر محمد حسین اقبال

*دكتور غلام أحمد
**ماجد نواز ملک

Abstract:

The study of wisdom in the poetry of Muhammad Husain Iqbal, a beautiful addition to the Arabic literature of Pakistan, to capture the attention of the later researchers towards this important topic, to introduce the great literary legacy of Pakistan to the Arab world and the way of conduction between Islamic and Arabic countries.

Wisdom is very important in Islam. The Holy Prophet (PBUH) has stressed the importance of wisdom in the following words "wisdom is the last heritage of Momin, one decreases it where one finds it."

تنتقل التجارب والمعارف الإنسانية من جيل لآخر بخلال متابعة الخلق و دراسة لماخلفه له أسلافه فيستفيد من تجاربهم و معارفهم وأفكارهم و ما مرّوابه من القضايا، سواء علمية أوفكرية فالحكمة عبارة عن نتائج تجارب الناس، فالحكيم من يتعظ بأخطاء غيره، كما أن كثيرا من اصحاب العقل والفهم قد الفوا كتب لكی تستمر الحياة وهذه الكتب بحاجة إلی دراسة مستمرة لكی تستفيد الناس من تجاربهم، وهذه هی الحكمة كما قال الله سبحانه و تعالیٰ فی القرآن الكريم عن حكمة لقمان:﴿وَلَقَدْ اٰتَيْنَا لُقْمٰنَ الْحِكْمَةَ﴾[1]

إن قادة العالم الإنسانی و مفكريهم يرشدون إلی دراسة الحكمة وهی الشئی التی يدعوا إليه العقل و تجعل المرأ غنياعن خوض أو تكرار خوض ماخاض غيره بل يأخذ العبرة والدرس- ولذ بين

* الاستاد المساعد بقسم اللغة العربية آدابها جامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد باكستان

** ماجد نواز ملک باحث الدكتوررا‌ة بجامعة كراتشی باكستان

1- سورة لقمان رقم الآية ١٢

الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم أهمية الحكمة بأقواله الكريمة وأعماله الحسنة، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:''الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهوأحق بها''[2]

وقال:''إن من الشعر لحكمة''[3]

ولودرسنا الشعر العربى الجاهلى والاسلامى بنظرعميق نجد أن الشعرآء العربية قد اهتمو ببيان الحكمة فى كلامهم مثل، زهير بن أبى سلمى، من الشعراء الجاهلية، حسان بن ثابت من شعرآء الاسلامية-

وإن فى بلاد شبه القارة عدد كبير من الشعراء العظام والعلماء الأعلام الذين قدموا خدمات جليلة فى مجال الدعوة الاسلامية مثل، الشاه ولى الله المحدث الدهلوى والعلامة القاضى عبدالمقتدر، والعلامة غلام على آزاد البلكرامى والعلامة اصغر على الرومى والعلامة فيض أحمد السهارنبورى والصوفى افصل فقير-

ومن الشعرآء الباكستانيين محمد حسين اقبال فى العصر الحديث و هو من مواليد مدينة فيصل آباد واسمه محمد حسين ولقبه ''اقبال'' فاشتهر بلقبه بدونه اسمه ولد فى سنة ١٩٤٧ من ١٥ شهر اغطس وينتمى إلى قبيلة اعوان وكنية أبوحماد و حصل الدراسة الابتدائية من قريته بدرجة عالية والشهادة الثانوية بقرية ''سالار والا'' بدرجة ممتازة وثم التحق بجامعة البنجاب بالكلية الشرقية بعد البكالريوس فى سنة ١٩٦٩م حصل شهادة الماجستير فى اللغة العربية وآدابها واعطى به الجائزة الذهبية-[4]

تفوق محمد حسين اقبال على معاصريه فى عدة فنون العربية وعلومها وخاصة فى الأدب الشعرى وقدنظم الشعر فى كثير من الاغراض الشعرية يعنى، الحمد، والمدح والوصف، الفخر والحماسة والوعظ و الحكمة والرثاء والهجاء وله قدرة كاملة و مهارة تامة فى ايراد المعانى العميقة فى قصائده وهو قوى الحافظة، قد حفظ أبياتا كثيرة للشعراء المتقدمين والمتأخرين و هذه قدرة وهبية و خاصة

[2]- أبوعيسى، محمد بن عيسى الترمذى، الجامع سنن الترمذى، بيروت، طبع ٢٠٠٥ء، ص١٠٥

[3]- أبوعبدالله، محمد بن اسماعيل البخارى، الجامع الصحيح للبخارى، دارالكتب، بيروت، ج٢، ص٩٠٢

[4]- محمد رضا المصطفىٰ، أضواء على حياة محمد حسين اقبال و شعره، حديث الجنان، ص٢٣-٢٤، الناشر، القسم العربى بجامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد طبع ٢٠٢١م

فى القواعد العربية ومن آثاره العلمية والأدبية، حديث النفس، ديوان شعره الذى طبع فى سنة ١٩٩٥م و نشره المجمع العلمى الباكستانى بلاهور، حديث الجنان، هذا ديوان ثان الذى طبع فى ٢٠٢١م و نشره قسم اللغة العربى بجامعة الكلية الحكومية بفيصل آباد و من قصائده نشر خارج باكستان منهم ''الرحمة المهداة للخلق''[5]

بعد دراسة ''ديوان حديث النفس'' و ''حديث الجنان'' يتضح لنا أن الشاعر أراد أن ينصح الناس وأن يوجههم إن يعيش بالآداب العالية والأخلاق الكريمة ويركز كثير اعلى الأخلاق الحميدة ومأثر البطولة والشجاعة و أحيانا على أمجاد المسلمين ما تميزه عن غيره، كما ان الحكمة فى العصر الاسلامى تنهل من القرآن الكريم و تتخذ مصدر رئيسا تستقى منه مضمونها وتستوحى أسلوبها، و تسير على هديه فى الاتجاه الدينى والأخلاقى الذى تعتمده مسارا لها تناول الشاعر موضوع الحكمة فى شعره بسبب أهمية الحكمة فى الاسلام-[6]

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ''رأس الحكمة مخافة الله''[7] وكل حكمة ترجع إلى خشية الله- وهذه الخشبة ثمرة العلم كما قال الله سبحانه و تعالىٰ فى القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمٰوا﴾-[8]

والأستاذ محمد حسين اقبال عابد و زاهد وانما يتحدث بلغة اللائم الزاجر وهو الداعى الذى يدعوالناس إلى التخلى عن عيوبها والتوبة عن ذنوبها كما خطب الشاعر لإبنه فى القصيدة التائية ويميله إلى عبادة الله ويأمره بالمعروف وينهى عن المنكر وتضم هذه القصيدة على اربعة و عشرين بيتا و يقول:

أبنى لا تركن إلى اللذات	و اعمل ليوم البحث قبل ممات
قدم لنفسک صالح الأعمال کی	تجد الثواب وسيلة المنجاة
والدين يسرو العبادة سهلة	والله يرضى عنک بالسجدات

5- مختار الدين أحمد، مجلة المجمع العلمى الهندى، العددالمجلد العاشر ١٩٨٥م

6- حبيب يوسف، الدكتور، الأدب العربى، مكتبة هلال طبع ٢٠٠٢م، ص٣٨٤

7- على المتقى الهندى، كنزالعمال، بيروت، ج٣، ص١٤١

8- سورة الفاطر رقم الآية ٢٨

فاعبده لاتشرک به شيأ وصل على النبى لتدخل الجنات
إن الفتى رهن بما كسبت يداه وإنما الأعمال بالنيات
والعبد ينجع بالفصائل والتقى ودخوله الفردوس بالرحمات
والمرء يلقى فى اللظى بذنوبه وله عظيم الأجر بالحسنات[9]

يخاطب الشاعر أبناء الأمة الاسلامية بوسيلة ابنه و يقول يا بنى اترک لذات الدنيا و شهواتها واعمل اعمالا صالحة قبل الموت و أن الاعمال الصحالة وسيلة النجاة و ديننا فهو يسير ولا إكراه فى الدين وهكذا طريق العبادات فهو سهل ولاصعوبة فيه و عليک ان تعبد الله ولا تشرک به شيا وصل وسلم على النبى المكرم صلى الله عليه وسلم لان الصلوة وسيلة لدخول الجنة وإن الحياة الروحية الاسلامية كانت عنده مطبوعة بطابع الخوف والتخويف والبكاء و الابكاء، حتى بلغ المسلم مقام المحبين و دخل فى زمرة المحبين و صار مصداق قول الله سبحانه و تعالىٰ:﴿وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَشَدُّحُبًّا لِلّٰهِ﴾[10]وصارمن اصحاب النفوس الزكية وأرباب القلوب النقية-

وهو يوجه الناس إلى الطاعات والعبادات ويميلهم على الأعمال الصالحة كما يقول فى قصيدة اللامية:

عود لسانک قول صدق دأما والكذب للإنسان شر خصال
والحلم وصف يقدر الإنسان علمى تحمل فادح الاثقال
ألن القلوب بحسن قول واعلمن أن القلوب تحب حسن مقال
ورهنية بالاكتساب نفوسنا وبنية لغطى جزاء فعال
من رحمة الغفار لاتقنط وإن كانت ذنوبک فوق عد رمال
لاتنهر العافين إن جاء وافقد يططر انسان إلى التسال[11]

[9]- محمد حسين اقبال، ديوان حديث النفس، طبع المجمع العلمى الباكستانى بلاهور سنة ١٩٩٥م، ص٦١
[10]- سورة البقرة رقم الآية، ١٦٥
[11]- المصدرالسابق، ص٦٣

هویخاطب أیها المسلم علیک أن تقل الصدق دائما لان الکذب لاینجی والصدق ینجی والقلب یحب حسن الکلام ایها المسلم لین القلوب من حسن الکلام، وان ذنوبک کثیرة و لاتقنط من رحمته کما یقول الله سبحانه و تعالیٰ فی القرآن المجید ﴿لَا تَقْنَطُوْا مِنْ رَّحْمَةِ الله﴾[12]

ان رحمة الله واسعة، وان جاء السائلون عندک لاتنهرهم ولم یعدخالیا لأن منع عن النهر کما جاء فی الکلام المجید﴿اَمَّاالسَّایِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [13]

یوجدفی شعره دقة المعنی ورقة اللفظ و جمال التصویر و تمام الانسجام کاملا، موضوعات الحکمة متنوعة ومنهم أطاعة الله وأطاعة الرسول والحب لله والحب للرسول والعظات والتجارب،کمایقول:

ألا إنّ خیر الخلقِ نفسًا و محتدًا صمیمُ قریشٍ بالمحاسن صُوِّرا
نبیٌّ جمیعُ الخلقِ أنشِیَ بعده وَ لولَاهُ لم یَخرُجْ مِن العدمِ الوریٰ
و کان نبیًّا قبل نشأةِ آدمٍ و أشهده الربُّ الکریمُ عَلی الوریٰ
و أرسله لِلخَلق عطفًا و رحمةً و لِلمؤمنین الصّالحین مبشِّرا
و أثنیٰ علیه فالقُ الحَبّ و النّویٰ وکان عظیمَ القدرِأطیبَ عُنصُرا[14]

یحرض الشاعر علی حب النبی صلی الله وسلم و عندما یصل الکلام إلی ذکر شمائله الکریمة وخصائله المجیدة وأخلاقه الجمیلة واصطنع أسلوب الاشارة والنلویح الذی یحول علی المجازات والاستعارات والکنایات وهو یقول فی تجارب الحیاة

ما نال من لم یجتهد مطلوبه لا یدرک المرء المنی بنحیب
کیف السبیل بدون جد للرجا ل إلی الحصول علی عظیم نصیب
من لم یذق فی عیشه طعم الهوی لم یدرما معنی فراق حبیب
قد یخطی الإنسان فی رأی له ونراه حینا وهو جد میعب

[12]- سورة الزمر رقم الآیة٥٣

[13]- سورة الضحیٰ رقم الآیة١٠

[14]- محمد حسین اقبال، حدیث الجنان، الناشر القسم العربی بجامعة الکلیة الحکومیة بفیصل آباد، ص٥١

بالعلم عرفان الإله وإنه يفضى بصاحبه إلى المطلوب[15]

يذكر فى الابيات عن تجارب الحياة وينبه المسلم على الذى ماوصل الإنسان إلى مكان رفيع فى الدنيا والآخرة إلاجهد يعنى لايمكن لإنسان ان يصل إلى الدرجة الرفيعة بدون جد ولا يكن معرفة إلابالعلم والشئى الوحيد الذى يفصى الانسان إلى مطلوبه و مصوده وهو علم وكذا على الانسان أن يسعى سعيا كثيرا لنيل العلم ، كما قال الله سبحانه و تعالىٰ ﴿لَّيْسَ لِلإنْسَانِ اِلَّا مَا سَعٰى﴾[16]والحكمة فى الاسلام هى عميقة المعنى ورفعية المفهوم، معبرة عن حقائق استخلصها الحكيم أو الشاعر من القرآن الكريم و من كلام النبى صلى الله عليه وسلم و مما وصل اليه من حكمة العصور الماضية[17] كما يقول الشاعر فى القصيدة الهمزية التى تحتوى على ستة و عشرين بيتا و رتبهابألفاظ سهلة:

المرء يصبح سيد بسخاء وخباله فى السوء والفحشاء
يقضى على أمواله إسرافه والبخل يذهب لذة السراء
يتأثر الفنان فى افكاره من بيئة وعلاقة الأرجاء
لا تكسبن لنفسک السوء الذى يأتى إليک بذلة وشقاء
عصر النبوة عهد کل سعادة للناس إذخرجوا من الظلماء(18)

يبين الشاعر فى كلامه ان تريد ان تصبح سيدا و رئيسا و سيد الاسخياء ، عليک ان يفنى بالسوء والفحشاء ويذهب ماله بالإسراف والبخل يغنى سرورة وينصح أيها المرء لاتكسب السوء لنفسه وهو سبب لنفسک الذلة والشقاء وعصر النبوة خير من کل عصور كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ''خير القرون قرنى''[19]

15- محمد حسين، حديث النفس، ص٦٩-٧٠
16- سورة النجم رقم الآية٣٩
17- حبيب يوسف، الأدب العربى، ناشر مكتبة الهلال طبع ٢٠٠٢م بيروت، ص٣٨٦
18- محمد حسين اقبال، حديث النفس، ص٧٩-٨٠
19- أبوعبدالله، محمد بن اسماعيل البخارى، الجامع الصحيح للبخارى-كتاب الشهادات رقم الحديث ٢٦٥١

إن الحكيم يبن أسرار الحياة الإنسانية ومعالمها، وينظر فى مختلف أحوالها ليكشف الحجب عن حقائق جوهرية متصلة بالنفس البشرية فيحسن فى ضوئها تقدير موقعها حق قدره، و معرفة دورها وغايتها من وجودها، والإهتداء إلى أسباب شقائها ونعيمها فى دنياها وآخرتها-[20]

كما يقول الشاعر:

والأرض والأمواه نعمة خالق وفواكه و التين و الزيتون
والطير والأنعام والحيان من الاءه والمعدن المكنون
الله وهاب النعيم بأسره والمراء منتفع له مأذون
خير الكلام كلام ربى إنه بجميع أنحاء الهدى مشحون
لايفهم الجهال سر كتابه فى السر معرفة الإله يكون[21]

يذكر فى اشعاره نعمة الله ويقول ايها الإنسان تدبر و تفكر إن الارض والماءو الفواكه والتين والزيتون والطير والأنعام والحيتان المعدن كلها نعم الله وياذنه ينقفع الإنسان وان تريد هداية ثم عليک ان تدرس القرآن الكريم وتدبر فيه و تفكر فيه فهو خير الكلام من ربک العظيم ولايمكن للجهل ان يفهموا سر كتاب الله عزوجل وهذه ثروتها عظيمة كمال اشار إليه امير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالىٰ عنه حيث يقول:

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال
فإن المال يغنى عن قريب وإن العلم باق ولايزال
لوكان هذا العلم تحصل بالمتى ما كان يبقى فى البيرية جاهل
اجهد ولا تكسل ولاتک غاملا فندامة العقبى لمن يتكاسل[22]

20- حبيب يوسف، الأدب العربى،ص٣٨٧
21- محمد حسين اقبال، حديث النفس، ص٨١
22- على بن ابى طالب رضى الله تعالىٰ عنه، الديوان، دارالمعرفة بيروت، ص٩٥

وهى لاشک دستور قيم من دساتير الحياة المثلى التى ترفع المجتمع البشرى إلى مستوى عال- كما يؤكد الشاعر العلم مايتعلق بتهذيب الإنسان هكذا يؤكد التقوى لان التقوى يتعلق بنفس الانسان ايضا، فيدور حول معرفة النفس ويأتى ذكر الموت وهو سبب التقوى و يقول:

من يوق شح النفس فهو كريم ومن اتقى الاسواء فهو حكيم
ولمن أتى بالشر نقمة ربه ولمن تزكى فى الجنان نعيم
والمرء بعد الموت يبقى ذكره وعظامه تحت التراب رميم
ويساعد المرء الفرائض للنجا ة وان تطوع فالفلاح يدوم
بصفات رب العالمين تخلقن والله غفار الذنوب رحيم[23]

قداشارإلى الآية الكريمة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ [24] يراد به أن الله حكم بالفلاح على من وقاه الله تعالى شح نفسه أي طمعها فيما ليس لها أو طمعها بحيث تمنع ما يجب عليها لأن الشح مداره على أمرين إما طمع فيما ليس لك أو فيما ليس من حقك وإما منع لما يجب عليك بذله فمن وقاه الله شح نفسه بحيث لا يطمع فيما لا يستحق ولا يمنع ما يجب عليه فإن هذا من أسباب الفلاح فمثلاً إذا وقي الإنسان شح نفسه في الزكاة وصار يخرج جميع ما يجب عليه منها ويسره الله تعالى للبذل في الصدقات وما يقرب إلى الله عز جل فهذا قد وقي شح نفسه في بذل ما يحبه الله عز وجل وعدم منع ما يجب عليه ومن وقاه الله تعالى أخذ أموال الناس بالباطل من سرقة أو خيانة أو ما أشبه ذلك فقد وقاه الله شح نفسه فيكون وقاية شح النفس بأن يحمي الله عز وجل المرء من الطمع فيما لا يستحق أو من منع ما يجب عليه بذله فمن وقي ذلك كان من المفلحين والفلاح كلمة جامعة لحصول المطلوب وزوال المكروه

ويحرض على التقوى و يبن أحوال بعد الموت فيقول، يبقى ذكر المرء موته ويفنى عظام الانسان ولايبقى شيى إلا الاعمال الصالحة وقد امتاز الشاعر بزكاء حاد كلف بتفصى المعانى والنزول إلى

23- محمد حسين اقبال، حديث النفس، ص٨٣

24- سورة حشر،رقم الآية،٩

أعماقها فهو يتكلم إلى العقل المبتصر قبل كل شى وحكمة ثمرة تأملات عميقة فكرية أحاطت بالمعانى من جميع نواحيها، فهو رجل تفكير و تقليد و تركيب ويكثر ذكر خير الأنام والحكم والوصف فى شعره-

تحتوى شعره على المحاسن الأدبية من بلاغة الأداء وفصاحة الألفاظ والأمثال الجيدة وله مقام رفيع بارزبين الشعراء الباكستانبين فى العصر الحديث ويميز شعره بالعذوبة والرقة وكثرت فيه العبارات الاسلامية و يأتى الاقتباس من القرآن والحديث-